

ورحلت أم ياسر .. إبراهيم يحيى أبو ليلي



بالأمس رحلت أم ياسر بعد أن عاشت حياة ملؤها الابتلاءات ، فمنذ ولادتها وهي تعاني من الآلام والأوجاع ولكن لسانها لا يفتر من الحمد والثناء لله الرحيم ، وقلبها عامر بالشكر للمنعمة الكبير. عانت كثيرا وصبرت صبرا وقفنا أمامه حيارى وهي تبسّم لخطوب الدهر صامدة شاكرة صابرة محتسبة ، مات ابنها الأول وهو في زهرة الشباب ثم لحقه الآخر وهي تحتسب أبناءها وتقول لقد أكرمني الله بفقدهم وأسأل الله أن يجعل موتهم ذخرا لي في الآخرة ، ثم لحقهم ياسر الذي كانت تعقد عليه الآمال ، وحقيقة فجعت فيه وأيضا أظهرت صبرا وجلدا يعجز عنه أقوى الرجال ، وهذا لا يتأتى إلا بعون الله ورحمته بعباده ، وقفنا أمامها حائرين ووطننا نحن إخوتها وأخواتها وكلنا أكبر منها سنا أنها ستنهار ، وعندما رأيناها صابرة محتسبة أيقنا أن الله قد أعطانا أختا تعلمنا كيفية الصبر على البلاء ، هاجمها المرض العضال فو الله إنني ملازم لها فما سمعت منها إلا الحمد والدعاء بأن يتغمد الله أبناءها ، وان يجعل مرضها كفارة لها. وقد رأت قبل ذلك أمها تموت أمامها بكت ما شاء الله لها أن تبيكي ثم أرعوت وعادت لحمد ربها وفي النهاية علمنا أن حزننا على ياسر قد أخذ منها مأخذه تطلق بالليل والنهار ، أنات حرى مقرونة أيضا بالحمد لخالقها. قالت لي في إحدى المرات يا أخي حزني على ياسر قد قصم فقار ظهري، وفعلًا فقد أقعدتها وأصابها بالشلل والفشل الكلوي فقد كان هو الذي يرعاه هي وابنتيها المكلومتين اللتين أسأل الله أن يجبر قلوبهما فقد والله فقدتا أمهما وهما في أمس الحاجة إليها ، ولكن الله أرحم بهما وأرف.

قبل ثلاثة أشهر دخلت المستشفى وهي مقعدة أتيها أجالسها وأمازحها فتضحك ضحكات يخالطها الحزن لا على نفسها بل على أبنائها الذين رحلوا وهم في زهرة الشباب وعندما تحس أن الشيطان يريد أن يسلبها أمانها وإيمانها بالله تعود فوراً مستغفرة حامدة شاكرة لربها الرحيم ، كنا أنا وهي قرييين جدا من بعضنا ربما لتقارب العمر بيني وبينها كانت تحن علي ورب الكعبة حنان الأم لا حنان الأخت وكل إخواتي وأخي لهم حنان لم أر مثله أبدا ، كنت أحرص كل الحرص على زيارتها لأنها قالت لي وبالخرف الراحـد "والله يا أخي حين أراك أحس وأشعر أن الآلام حتى العضوية منها تخف وتضمحل طالما أنكم جلوس عندي وعند رؤيتك ورؤية بقية إخواتي وأخي وأبائهم وبناتهم الذين يحيطون بي ويخففون عني ألامي فالحمد لله الذي أكرمني بكم فلا تحرفني من رؤيتك" وكنت حريصا على أن أراها وأحدثها وأرى الفرحة على محياها.

وقبل موتها بأيام أظهرت لي حنانا جعلني أقف مشدوها كيف لي أن أرد كل هذا الكرم منها ؟ أعترف أنني عاجز وأسأل الله أن يكرمها كرما يتعجب منه أهل السموات والأرض وليس ذلك بعزيز على ربنا الكريم. قالت لي مرة وأنا أزورها في المستشفى : يا أخي اسأل الله أن يدخلك الجنة فما تماكنت نفسي أن بكيت وقيلت رأسها وأحسست أن مثل هذه المرأة مستجابة الدعوة وأن فراقها جدا صعب على المرء لولا لطف الله بنا وأن يلهمنا الصبر على فراقها ، وبعدها دخلت في غيبوبة الموت أياماً معدودة ثم اتاني الخبر الذي كان كافيا لقصم الظهر مني لولا الإيمان بقضاء الله وقدره والتسليم له لما استطعت أن اتمالك نفسي ولكن لطف الله الذي أرجو أن لا يتخلى عنا هذا اللطف وفي هذا اليوم الخميس السابع والعشرين من شهر شعبان الف وأربعمئة وأربعين للهجرة انتقلت اختي الحبيبة الغالية أم ياسر إلى ربها الرحيم العفو الرؤوف فأسأل الله أن يتغمدها بواسع رحمته وينزل على قبرها شأبيب الرحمة وسحاب الغفران وان يجعل الفردوس الأعلى سكنا ومنزلا لها، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا إنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم أخيرا لحقت بربها لتلتقي بأذن الله بوالديها وأختها الكبرى وأبنائها .. اللهم اجمعهم وإيانا في الفردوس الأعلى من الجنة ، وأسألك يا جابر المكسورين أن تجربنا وتعيننا على فراقها وان ترأف بأبنتيها وان تجعلهما من الصابرات مثلها يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين

أخواني وأخواتي أدعوا الله أن يتغمد أم ياسر بواسع رحمته فو الله سوف يعطيكم الله أجر الدعاء لها جزاكم الله خيراً .

أخوكم : إبراهيم يحيى أبو ليلي